

2011

طول الأمل والغفلة عن الآخرة في ضوء القرآن الكريم

Fawzia Taha

جامعة أم درمان الإسلامية, tahafa@jinan.edu.lb

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan>



Part of the [Islamic Studies Commons](#)

Recommended Citation

Taha, Fawzia (2011) "طول الأمل والغفلة عن الآخرة في ضوء القرآن الكريم," *الجنان Al Jinan*: Vol. 2 , Article 1. Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol2/iss1/1>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in *الجنان Al Jinan* by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

د. فوزية احمد الحسن طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
كلية اصول الدين جامعة ام درمان الاسلامية

طول الأمل والغفلة عن الآخرة في ضوء القرآن الكريم

مستخلص البحث :

اثبت البحث أن طول الأمل يورث حب الدنيا والركون إليها ، وقصر النظر يقود المؤمن لإدراك حقارة الدنيا ويحمله للعمل الصالح لأجل الآخرة.

كما بين البحث انشغال الناس بالدنيا ، حتى أصبح طول الأمل ظاهرة تحكم أمورهم وتصرفاتهم ، وذكر بضرورة ذكر الله ، وذكر الموت لأنه يعين المؤمن على العمل للآخرة ، وألا تكون الدنيا أكبر همه ، ولا مبلغ علمه.

ومن أهم النتائج : امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه توجب مرضاة الله ، والفوز بالجنة.

وطول الامل يورث الغفلة التي تورد صاحبها المهالك.

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد : فإن موضوع الأمل والغفلة عن الآخرة أصبح من السمات المميزة لتعامل البشر مع قضايا الحياة الدنيا ، علماً بأن القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة قد اشتملتا على كثير من الأوامر والنواهي ، التي تدعو للإقبال على الآخرة ، وعدم التمسك بالفانية ، وكثيراً ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر بالموت وأحوال القيامة ، حتى ينتبه الغافلون ، عن أبي بن كعب قال : « كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه»^(١). وفي تنبيه الغافلين للخوف من الله سبحانه وتعالى، والعمل لأجل الآخرة، وقد مدح الخائفون بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾^(٢). أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون منه وجلون من مكره بهم. قال تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾^(٣)، ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾^(٤)، ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(٥). ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ﴾^(٦).

لكل ما تقدم من هذه الآيات الدالة على حب الدنيا، والغفلة عن الآخرة جاء سبب اختياري لهذا الموضوع:

(١) لبيان طول الأمل، وارتباطه بالعمل للدنيا لا الآخرة.

(٢) توضيح أهمية العمل للآخرة والزهادة في الدنيا.

(٣) بيان الداء في طول الأمل وحب الدنيا، والدواء في ذكر الله والعمل للآخرة.

(٤) للرد على المتمسكين بالدنيا العاملين لها، ولأن هذا قد أصبح ظاهرة استلزمت بيان حقارة الدنيا، ووجوب قصر النظر الذي يوجب رضا الله سبحانه وتعالى.

منهجي في البحث:

المنهج الذي اتبعته هو استقرائي، استنباطي، تحليلي، وذلك بعرض نصوص الكتاب والسنة، واستعراض أقوال المفسرين المتعلقة بها، وبيان ما ذهب إليه بعض العلماء في النهي من الركون إلى الدنيا، والعمل لها لا للآخرة.

خطة البحث: قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين:

المقدمة: تتضمن تعريفاً موجزاً لكل من طول الأمل والغفلة عن الآخرة، وبيان أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع في البحث، والخاتمة وقائمة أهم المصادر والمراجع.

١- رواه الترمذي في صفة القيامة باب (٢٣)، (٦٣٦/٤) وقال حديث حسن صحيح، ضمن حديث طويل.

٢- المؤمنون: ٥٧

٣- المؤمنون: ٦٣

٤- المؤمنون: ٦٤

٥- المؤمنون: ٧٧

٦- المؤمنون: ٩٩

المبحث الأول: طول الأمل وحب الدنيا والتفكر في حقارة الدنيا ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طول الأمل وحب الدنيا

المطلب الثاني: قصر النظر والتفكر في حقارة الدنيا.

المبحث الثاني: الغفلة عن الآخرة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات ثم ذيلته بقائمة أهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول

طول الأمل وحب الدنيا والتفكر في حقارة الدنيا

المطلب الأول: طول الأمل وحب الدنيا

كثير من الناس يحرص على الحياة الدنيا، ويعيش لندياه فحسب؛ وهذا ما يعرف بطول الأمل وهو المذموم في القرآن الكريم لأنه يرتبط بالغفلة عن الآخرة.

جاء في كتاب رحلة إلى الدار الآخرة: جميل أن نحمل في قلوبنا أملاً، لكي نَعْمَرَ الكون بكل أنواع الخير، فالإنسان مفطور على حب الحياة، لكن لا بد أن نحذر من أن يحول طول الأمل بيننا وبين طاعة الله عز وجل.

فإن صاحب الأمل الطويل في الدنيا يركن غالباً إلى الشهوات والملذات، ولذلك نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أجل ذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من طول الأمل^(١) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان: الحرص والأمل»^(٢) وقال بلفظ آخر: «يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر»^(٣)

يقول الله تعالى: ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾^(٤)

قال الطبري: «وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ» عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) غداً إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا في خسارة وتباب^(٥).

١- رحلة إلى الدار الآخرة . جمع وترتيب محمود المصري أبو عمار، مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م - ص ٥

٢- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: كراهة الحرص على الدنيا، بمعناه، ١/ ٤١٠.

٣- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: كراهة الحرص على الدنيا، حديث رقم (١٠٤٧)، ١/ ٤٦٠

٤- الحجر: ٣

٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وتحقيق أحمد عبد الرازق البكري وآخرون - بإشراف أ.د/عبد الحميد عبد المنعم مذكور، دار السلام للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٢٥-٢٠٠٥ م - ٦/ ٤٨٦٥

و يقول ابن كثير: «ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» تهديد شديد لهم ووعيد أكيد ولهذا قال «وَيَلْهَمُ الْأَمْلُ» أي عن التوبة والإنابة «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» أي عاقبة أمرهم. كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (١) (٢)

وفي هذا دليل على أنَّ طول الأمل الذي يجعل المرء يركن إلى الدنيا منهياً عنه بنصوص الكتاب و الحديث النبوي الشريف وهذا ما أكده حديث المفسرين اللذين تقدم ذكر قولهما، كما أيد صاحب فتح القدير ما ذهب إليه ابن كثير بقوله: «ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» تهديد لهم: أي دعهما عما أنت بصده من الأمر لهم و النهي، فهم لا يراعون أبداً ولا يخرجون من باطل ولا يدخلون في حق، بل ذرهم بما هم عليه من الاشتغال بالأكل ونحوه من متاع الدنيا و من إلهاء الأمل لهم عن إتباعك فسوف يعلمون عاقبة أمرهم و سوء صنيعهم .

وفي هذا من التهديد و الزجر ما لا يقدر قدره، يقال: ألهاه كذا أي شغله الأمل عن إتباع الحق، و ما زالوا في الآمال الفارغة، و التمنيات الباطلة حتى أسفر الصبح لذي عينين و انكشف الأمر و رأوا العذاب يوم القيامة، فعند ذلك يذوقون وبال ما صنعوا (٣)

جاء عن بعض الحكماء قولهم: «عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على فناء عمره، و عجبت من الدنيا مولية عنه، و الآخرة مقبلة عليه يشغل بالمدبرة و يعرض عن المقبلة» (٤).

وعلى هذا يجب أن لا يركن المرء إلى الدنيا، و ينشغل بها وينسى الآخرة، و قد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في قوله: «مالي و للدنيا و ما للدنيا و مالي و الذي نفسي بيده ما مثلي و مثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها» (٥). و لذلك علينا ألا نجعل الدنيا غايتنا بل، نجعلها مطية الآخرة، فقد جاء في مسند البزار عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة من الشقاء جمود العين و قساوة القلب و طول الأمل و الحرص على الدنيا» (٦)

و قال القرطبي: «طول الأمل داء عضال و مرض مزمن، و متى تمكن من القلب فسد مزاجه و اشتد علاجه، و لم يفارقه داء ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء و يئس من برئه الحكماء و العلماء».

١- إبراهيم: ٢٠

٢- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - صحح بإشراف الشيخ خليل

٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدارية من علم التفسير - لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني توفى بصنعاء ١٢٥٠ هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م، ١٢١/٢.

٤- أنظر: رحلة إلى الدار الآخرة، ص ١٦

٥- أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٩٦) و صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٦٩).

٦- رواه البزار و فيه هانئ بن المتوكل و هو ضعيف كما في المجمع ٢٢٦/١٠.

وحقيقة الأمل : الحرص على الدنيا والانتكباب عليها ، والحب لها والإعراض عن الآخرة ، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل»^{(١) (٢)}.

وما كتبه القرطبي يعتبر من أروع ما كتب في كتب التفاسير عن طول الأمل، وأضاف ؛ ويروى عن أبي الدرداء أنه قام على درج مسجد دمشق فقال: «يا أهل دمشق ألا تسمعون من أخ لكم ناصح، إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً و يبنون مشيداً و يأملون بعيداً، فأصبح جمعهم بوراً وبنينهم قبوراً وأملهم غروراً. هذه عادة قد ملأت البلاد أهلاً و مالاً و خيلاً و رجالاً، فمن يشتري مني اليوم تركتهم بدرهمين...» وقال الحسن: «ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل».

و صدق رضي الله عنه! فالأمل يكسل عن العمل، و يورث التراخي و التواني، ويعقب التشاغل و التقاعس، و يخلد إلى الأرض و يميل إلى الهوى. و هذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، و يحيل على المبادرة، وبحث على المسابقة^(٣).

لذا ينبغي على الإنسان أن يغتنم شبابه و فراغه وصحته و عافيته في التقرب إلى الله والعمل لأجل الآخرة، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»^(٤).

وقد قال صاحب الكشف: «ذَرُّهُمْ» يعني أقطع طمعك من ارعوائهم و دهمهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة و خلهم «يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» بدنياهم و تنفيذ شهواتهم و يشغلهم أملهم و توقعهم لطول الأعمار و استقامة الأحوال ، وأن لا يلقوا في العاقبة إلا خيراً (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) سوء صنيعهم، والغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجيئ منهم إلا ما هم فيه ، وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما يندرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل إلى اتعاضهم قبل ذلك ، فأمر رسوله أن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته ، وأن يبالغ في تخليهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة ، وفيه إلزام للحجة و مبالغة في الإنذار، و إغذار فيه، وفيه تنبيه على أن إثثار التلذذ و النعم وما يؤدي إلى طول الأمل . وهذه هجيري أكثر

١- أخرجه أحمد في الزهد.

٢- الجامع لأحكام القرآن الكريم عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - تحقيق د/ عبد الحميد هندawi - المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، ٥/ ٢٥٥

٣- المرجع السابق نفسه ٥ / ٢٥٥

٤- أخرجه البخاري - كتاب الرقاق - باب الصحة و الفراغ ولاعيش إلا لعيش الآخرة ، ٧ / ١٦٩ .

الناس ليس من أخلاق المسلمين. وعن بعضهم: التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين^(١).
وقد اتفق القرطبي^(٢) والشوكاني^(٣) على أن قوله تعالى: ﴿ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ أي آية سورة الحجر هذه منسوخة بآية السيف^(٤). ومع أن هذه الآية نزلت في الكفار والمشركين حين يعاينون العذاب يوم القيامة؛ أي يتمنى الكفار في وقت ما أن لو كانوا مسلمين^(٥) وهذا الوقت هو يوم القيامة عند معاناة العذاب، إلا أنها تشمل عصاة المسلمين اليوم الذين ركنوا إلى الدنيا و باتت أكبر همهم. وطول الأمل في اعتقادي أبلغ ما يكون في قصر النظر، وربط الفكر الديني بالمصالح المادية، التي تطمح إليها نفوسهم. ويجب أن لا ينسينا طول الأمل ذكر الله، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»^(٦).

وكما جاء في سبل السلام؛ الحديث من أدلة فضل الذكر وأنه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب الآخرة وهو أيضاً من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها ولذا قرن الله الأمر بالثبات لقتال أعدائه وجهادهم بالأمر بذكره^(٧) وحب الدنيا وطول الأمل يتمثل في الانسياق وراء الأولاد والأموال، والانشغال بذلك عن ذكر الله، وذكر الآخرة يقول تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾^(٨)

إلا أن النفس البشرية إذا تركت على هواها، وحجب عنها نور الإيمان، ونظرت إلى ما بين يديها من الأسباب المادية، أخذها الغرور والبطر، وظنت أنها لم تؤت هذا المال وهذه المكانة والوجاهة إلا لمزايا ذاتية فيها، وهذا الصنف من البشر يتكرر في كل زمان ومكان وفي كل حال لم تهذب نفسه بإشراقه الإيمان، ولقد ظن هذا الظن قارون عندما قال: ﴿... إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ...﴾^(٩) فالغرور والبطر عند التكبر على عباد الله وكسر قلوب الفقراء، دائماً مبعثه

١- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جاد الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧-٥٣٨ هـ، دار المعرفة بيروت-لبنان، (د.ط.)، (د.ت) ٢/٣١٠.

٢- الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٥٤.

٣- فتح القدير ٣/١٢١.

٤- وهي قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج اية (٢٩).

٥- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد: جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م، ص ٥٦٣.

٦- أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد جيد.

٧- سبل السلام وبلوغ المرام لمحمد بن إسماعيل الأمير اليمني الفسعاني - تحقيق إبراهيم عصر- دار الحديث (د.ط.)، (د.ت)، ٤/١٦١٩.

٨- الحديد: ٢٠

٩- القصص: ٧٨

طول الأمل وحب الدنيا^(١). فليعلم طويل الأمل إنه لم يخلق عبثاً؛ لقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠) ﴿^(٢) و عليه فالإنسان لا يترك هملاً ؛ يعني لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث و الظاهر أن الآية تعم أي ليس يترك مهملاً ، لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدًى لا يبعث ، بل هو مأمور منه في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة و المقصود هنا إثبات المعاد و الرد على ما أنكره من أهل الزيغ و الجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين . يمنى : يراق من الأصلاب في الأرحام^(٣).

ولو تأمل الإنسان هذا الأمر لما طال أمله في الدنيا بعيداً عن طاعة الله ، ولأدرك الضعف الذي يعتريه ولأكثر من الرجوع لله عز وجل . وقال صلى الله عليه وسلم: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٤) ولا يكون العتق إلا باعتزال الفساد ، و الضرار إلى الله تعالى ، يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٥) . وقد تمثل قصة قارون - في القرآن الكريم - جانب الطغيان بالمال و الغرور بالعلم ، و كيف أن مآلهما إلى الفناء ، إذا تسلطت الأهواء ، و سيطرت الأطماع ، و تحوّل الإنسان من مجرد مخلوق من مخلوقات الله إلى متجبر متكبر ، يعلو بنفسه فوق الناس ، ويزهو ويتعالى عليهم ، وينظر إليهم بمنظار الاستعلاء و الاستكبار و ليعلم طويل الأمل من الناس ؛ أن كل شيء مآله إلى زوال ، و أن الباقي هو وجه الله ذو الجلال والإكرام^(٦) . و عليه يجب على المرء الحرص على طاعة الله و طاعة رسوله كما يجب الاستعداد ليوم الرحيل ، أي لا يكون المرء همّة الدنيا فحسب ، بل يجعل من الدنيا مطية الآخرة .

لأن الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم: «سجن المؤمن و جنة الكافر»^(٧) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار حين سمعوا بقدوم أبي عبيدة بن الجراح من البحرين - وكان قد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ليأتي بجزيته «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من

١ - انظر: مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم، دار القلم الطبعة السابعة ١٤٣٠/٢٠٠٩م، ص ٢٢٩-٢٣٠ دمشق.

٢ - القيامة: ٣٦-٤٠

٣ - تهذيب تفسير ابن كثير ص ١١٥٩

٤ - أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٥٥٦) ٢٠٣/١

٥ - الذاريات: ٥٠

٦ - دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني - للدكتور أحمد جمال العمري مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية

١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٢٩٢

٧ - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد و الرقائق حديث رقم (٢٩٥٦) ، ٢/ ٦٩٤

البحرين ؟ فقالوا: أجل يا رسول الله ! قال: « فابشروا و أملوا ما يسركم فوالله ! ما الفقر أخشى عليكم. و لكنني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها و تهلككم كما أهلكتهم»^(١)

وفي رواية أخرى «فتلهيكم كما ألهتهم»^(٢) وفي هذا دليل على النهي عن طول الأمل والترغيب في قصر الأمل لأن طول الأمل يؤدي إلى الهلاك كما جاء في الحديث. فالذي يتأمل أحوال الناس في هذا الزمان، يعجب لأعمالهم يعيشون في هذه الدنيا، و كأنهم خلقوا لها و لشهواتها، لا يأبهون بقوله تعالى: ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾^(٣). ذرهم فيما هم فيه من حياة حيوانية محضة للأكل و المتاع. لا تأمل فيه و لا تدبر و لا استطلاع. ذرهم في تلك الدوامة: الأمل يلهي و المطامع تغر، و العمر يمضي و الفرصة تضيع، ذرهم فلا تشغل نفسك بهؤلاء الهالكين، الذين ضلوا في متاهة الأمل و الغرور، يلوح لهم و يشغلهم بالأطماع، و يملي لهم فيحسبون أن أجلهم ممدود، و أنهم محصلون ما يطمعون لا يردهم عنه راد، و لا يمنعهم منه مانع. و صورة الأمل الملهي صورة إنسانية حية. فالأمل البراق ما زال يخاليل لهذا الإنسان، و هو يجري وراءه، و ينشغل به، و يتغرق فيه، حتى يجاوز المنطقة المأمونة؛ و حتى يغفل عن الله و عن القدر، و عن الأجل؛ و حتى ينسى أن هنالك واجبا، و أن هنالك محظورا؛ بل نسي أن هنالك إلها، و أن هنالك موتا، و أن هنالك نشورا^(٤). و لعل هذا هو الأمل القاتل الذي يؤمر الرسول صلى الله عليه و سلم أن يدعهم له (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) حيث لا ينفع العلم بعد فوات الأوان، و هو أمر فيه تهديد لهم، و فيه كذلك لمسة عنيفة لعلهم يصحون من الأمل الخادع الذي يلهيهم عن المصير المحتوم^(٥).

المطلب الثاني

قصر الأمل و التفكير في حقارة الدنيا

يقول الله تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَبُّهُ مَضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ ﴾^(٦)

١- أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٢٩٦١)، ٢٩٥/٢

٢- أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٢٩٦٢)، ٢٩٥/٢

٣- الحجر: ٣

٤- سيد قطب، في ظلال القرآن

٥- في ظلال القرآن ٤ / ٢١٢٦

٦- الحديد: ٢٠

يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرها لها: ﴿...أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾ أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال تعالى: ﴿زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾^(١) ثم ضرب الله مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: (كَمَثَلِ غَيْثٍ) وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس... إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي هي متاع فان غار لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها و تعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة^(٢). دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لقصر الأمل بقوله لابن عمر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك في أهل القبور»

وقال ابن عمر: «إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا»^(٣). وهذا دليل على حقارة الدنيا، ونهيل عن التمسك بها. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وكثرة المال»^(٤) يترتب على هذه الأقوال الزهد في الدنيا، والتقلل منها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَأَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغِبْ بِآلَاءِ مَوْلَاكَ فَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾^(٥) ضرب تبارك وتعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انتقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض، بما أنزل من السماء، مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها، حتى إذا أخذت الأرض زينتها الفانية، بما خرج من ربها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان، وظن الذين زرعوها وغرسوها أنهم قادرون على حصادها، جاءتهم صاعقة أو ريح شديدة، فأبيست أوراقها وأتلف ثمارها^(٦).

١- آل عمران: ١٤

٢- المصباح المنير في تهذيب ابن كثير، ص ١٠٨٢-١٠٨٣

٣- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد - باب ما جاء في قصر الأمل ٢٩٧/٤.

٤- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في قلب الشيخ شاب في اثنين، ٢٩٩/٤.

٥- يونس: ٢٤

٦- انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٤٨٥

يبين الله عز وجل الحجج والأدلة (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعتبرون بهذا المثل في زول الدنيا من أهلها سريعا مع اغترارهم بها، وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها، وتفلتها عنهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتاب العزيز^(١). فقال في سورة الكهف: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا﴾^(٢) وكذا في سورة الزمر^(٣)؛ والحديد^(٤). والآيات التي يضرب الله بها مثل الحياة الدنيا كثيرة. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا و اتقوا النساء»^(٥) وقال عليه أفضل الصلاة والتسليم: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع»^(٦) ففي هذا دليل على حقارة الدنيا وإنها لا تسوي شيئا. لذلك يجب أن لا تركز إلى الدنيا، ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله^(٧)

يقول صلى الله عليه وسلم: «إزهد في الدنيا يحبك الله، وإزهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(٨) لذا يجب أن يحمل المرء نفسه على الزهد في الدنيا، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة التفكير، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة»^(٩).

قال صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يموت إلا ندم»، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع»^(١٠) فحتى لا يحصل الندم المشار إليه في الحديث علينا الزهد في الدنيا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالموت مزهداً في الدنيا، ومرغبا في الآخرة»^(١١)

١- المصباح المنير ص ٤٨٥.

٢- الكهف: ٤٥

٣- سورة الزمر الآية (٢٩)

٤- سورة الحديد الآية (٢٠)

٥- أخرجه مسلم ٢١٩٣/٤

٦- أخرجه مسلم وأحمد مسنده، ٢٢٨/٤.

٧- رياض الصالحين ص ٢٢٦.

٨- حديث حسن أخرجه بن ماجة وغيره بأسانيد حسنة رياض الصالحين ٤٧٢، ص ٢٢٦

٩- أخرجه الديلمي في الفردوسي: ١١٨/٢.

١٠- أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في ذهاب البصر، حديث رقم (٢٣٢٧).

١١- أخرجه أحمد في ١٣٥/١

هذا وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته : أما بعد ، فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك و نهارك ، بغض إليك كل فان ، وحبب إليك كل باق^(١) .

بناء على ما تقدم يتبين لنا ؛ أن القرآن مملوء بالترهيد في الدنيا و الإخبار بخستها وقتها وانقطاعها ، وسرعة فنائها . والترغيب في الآخرة و الإخبار بشرفها ودوامها فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا و الآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيتار^(٢) . كما قال تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(٣) فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود .

والزهد في الدنيا قصر الأمل^(٤) وهذا هو المرجو من الفرد المسلم الذي يجب أن لا يشغله طول الأمل عن ذكر الله وذكر الموت .

ومن أحسن ما قيل في الزهد : ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك فهذا من أجمع كلام في الزهد و أحسنه^(٥)

من كل هذا يتضح أن طول الأمل مذموم ، وعلينا أن نقلع عن ذلك الفعل الذي يبعد عن طاعة الله ، ويورث الغفلة عن الآخرة . فالثقة بالأمل توجب الفتور والتواني^(٦) . الذي يلهي صاحبه عن ذكر الله ، والعمل للآخرة .

وأخرج الترمذي في سننه : أن رجلاً قال : يا رسول الله و أي الناس خير ؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » قال : فأأي الناس شر ؟ قال : « من طال عمره وساء عمله »^(٧) فطول العمر في طاعة الله خير من طول الأمل في الدنيا و حبها ، دون العمل للآخرة . بناء على ذلك يجب على العبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً ، ويكون خوفه و رجاؤه سواء ، وفي حال المرض يمحض الرجاء . وقواعد الشرع من الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك^(٨) قول الرسول صلى الله عليه

١- انظر : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، (د.ت) ، ص ٣٠

٢- انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١) ، مكتبة الإيمان ، طبعة ١٤١٩/ ١٩٩٩ م ، ٨/٢

٣- الحديد : ٢٢

٤- مدارج السالكين ٨/٢

٥- المرجع السابق نفسه ١٠/٢

٦- المرجع السابق نفسه ٤/٣

٧- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ما جاء في طول عمر المؤمن ، حديث رقم (٢٣٢٩)

٨- رياض الصالحين ص ٢١٥

وسلم : «إن الدنيا حلوة خضرة»^(١) . وإن الله مستخلفكم فيها^(٢) . فينظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا و اتقوا النساء^(٣) . فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء^(٤) . تحذير واضح يجب الوقوف عنده، والعمل به، وإلا فالهلاك واقع لا محالة .

المبحث الثاني

الغفلة عن الآخرة

أن يجعل المرء الدنيا همه ، ويغفل عن الآخرة ؛ لهو الخسران المبين، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة : «إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل: فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، إلا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»^(٥)

وهذا قول مهم ليعمل المرء للآخرة . يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمُ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٦) .

أي : ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا، وسعى لها ، ولم يبال بالآخرة ، فكأنه ما آمن بها ، (فما متاع الحياة الدنيا) التي مالت بكم، وقد متموها على الآخرة (إلا قليل) أفليس قد جعل الله لكم عقولاً ترنون بها الأمور؟ وأيها أحق بالإيثار؟، أفليست الدنيا من أولها إلى آخرها لا نسبة لها في الآخرة؟. فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً في الدنيا فبأي رأي رأيتم إثارها على الدار الآخرة، الجامعة لكل نعيم؟^(٧) لذا ابن كثير يقول : «إن أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وإكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكاء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم

١- يحتمل أن المراد شيئان : أحدهما حسنهما للنفوس ونضارتها ولذتها. كالفاكهة الخضراء الحلوة ، فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً. فكذا الدنيا. والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين .

٢- أي جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم ، فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم

٣- اجتنبوا الافتتان بها وبالنساء .

٤- أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، حديث رقم (٢٧٤٢)، ٤/٢٠٩٨

٥- صفة الصفوة، للإمام جمال الدين القرشي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، طبعة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م / ١/١٠٧

٦- التوبة: ٣٨

٧- أنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، مطبعة المدني ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م، ٢٤٦/٢.

في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة»^(١) فيقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾^(٢)، (يعملون ظاهراً من الحياة الدنيا) فينظرون إلى الأسباب، ويجزمون بوقوع الأمر، الذي في رأيهم، انعقدت أسباب وجوده، ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده، شيئاً فهم واقفون مع الأسباب، غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها^(٣). وحين يدرك المرء الموت ينتبه من الغفلة ولات ساعة مندم فقد جاء في المصباح المنير: (لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة، قال: اتتوني بكفني الذي أكفني فيه أنظر إليه فلما وُضع بين يديه نظر إليه فقال: «أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول: أف لك من دار إن كان كثير لك قليل، وإن كان قليل لك قصير، وإن كنا منك لفي غرور»^(٤)) وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ قد توجهت قلوبهم، وأهواؤهم وإراداتهم، إلى الدنيا وشهواتها، وحطامها، فعملت لها، وسعت وأقبلت بها، وأدبرت، وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشاق إليها، ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله يروعها ويزعجها، وهذا علاقة الشقاء، وعنوان الغفلة عن الآخرة^(٥)

وقد جاء عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: منبها عن الغفلة: «الحمد لله أحمدته وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح به علكم، وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، وموقتون على أعمالكم، ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالغناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال، وهي من بين أهلها دول وسجال، ولا تدوم أهوالها، ولن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور، إذا هم منها في بلاء وغرور...»^(٦) فهذه موعظة عالم برية، موقن بحسابه وعقابه، منبه لقلوب غافلة عن الآخرة والعمل لها.

يا عجباً أنس بالدنيا مفارقها، وأمن النار واردها، كيف يغفل من لا يُغفل عنه، كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره إلى أجله؟^(٧).

١- المصباح المنير ص ٨٢٥.

٢- الروم: ٧

٣- تيسير الكريم الرحمن ٧٦/٢.

٤- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٤٥٤.

٥- تيسير الكريم الرحمن ٧٦/٢ - ٧٧

٦- صفة الصفوة ١/١٠٧

٧- الرحلة إلى الدار الآخرة ص ٢٦

فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً في الدنيا، حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه، لا يتعدى الحياة الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار المشحونة بالأخطار^(١).

ما لكم فعلتم هكذا أَرْضَيْتُمْ منكم بالدنيا بدلاً من الآخرة؟ ثم زهد الله تبارك وتعالى في الدنيا، ورغب في الآخرة^(٢)، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُم إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٣)

ومن العجب أن كثيراً من الناس انشغل بالدنيا، وغفل عن الآخرة علماً بأن هذا القسم من الناس، قد بلغت بكثير منهم، الفطنة والذكاء، في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول، ويدهش الألباب، وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية، والمراكب البرية والبحرية، والهوائية، ما فاقوا به وبرزوا، وأعجبوا بعقولهم، ورأوا غيرهم عاجزاً عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء، وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب^(٤).

وكان ينبغي أن يتفكروا في قدرة الله وعظيم خلقه، حتى تزدهم اكتشافاتهم واختراعاتهم معرفة بالله وإيماناً به.

وقد جاء عن عبد الله بن عباس أنه قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتفاعي بكتاب كتب به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كتب: «أما بعد فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً، وليكن همك فيما بعد الموت»^(٥)

وفي هذا تأكيد على الحرص على العمل لما بعد الموت أي للآخرة.

ومن أمراض الغفلة:

داء العجب^(٦):

حين استغرق القوم مشاهدة النعم وعميت بصائرهم عن المنعم، وشغلوا أنفسهم بالخلق عن

١- انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢٤٦/٢

٢- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٤٥٤

٣- التوبة: ٣٨

٤- تفسير تيسير الكريم الرحمن ٧٧/٢

٥- صفة الصفوة ١/١٠٩

٦- د. خالد أحمد أبو شادي، صفقات رابحة كيف تحجز مقعداً في الجنة، دار البشير للثقافة والعلوم ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٨٩

الخالق ، وغاب عنهم أنه ما أنعم عليهم إلا ليدلهم على نفسه ، وما شملهم بفضله إلا ليسلكوا طريق شكره ، ظهر فيهم داء العجب

ولذلك تزداد الغفلة عن الآخرة فيمن استشرى فيهم داء العجب ، ويجد إبليس ضالته فيمن أصابهم هذا الداء ^(١) .

وما العجب إلا الغرور ، والمغرور إنسان نفخ الشيطان في دماغه ، وطمس من بصره ، وأضعف من ذوقه ، فهو مخلوق مشوه ^(٢) .

يقول الله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ^(٣) . يقول صاحب الظلال: «مطلع قوي يهز الغافلين هذا . والحساب يقترب وهم في غفلة . والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى . والموقف جد وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته ... (لاهية قلوبهم) والقلوب هي موضع التأمل والتدبر والتفكير .

إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد ، فتلهو في أخطر المواقف ، وتهزل في مواطن الجد؛ وتستعثر في مواقف القداسة» ^(٤) .

ويبدو أن هذه الصورة تجسد الواقع الذي يعيشه الناس اليوم ، يواجهون اقتراب الحساب بالغفلة ، وهؤلاء موجودون في كل زمان .

جاء رجل لعامر بن ربيعة ^(٥) فأكرم مثواه .. ثم جاءه هذا الرجل وقد أصاب أرضاً فقال له : إني استقطعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وادياً في العرب . وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك ، فقال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك . نزلت اليوم سورة ^(٦) أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ^(٧)

وهذا هو فرق ما بين القلوب الحية المتلقية المتأثرة ، والقلوب الميتة المغلقة الخاملة . التي تكفن ميتها باللهو ؛ ولا تتأثر بالذكر لأنها خاوية من مقومات الحياة ^(٨) .

١- انظر: صفقات رابعة ، ص ١٨٩

٢- انظر : د. مصطفى السباعي - هكذا علمتني الحياة - دار السلام للطباعة والنشر - السادسة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م - ص ٢٠ .

٣- الأنبياء: ١

٤- سيد قطب . في ظلال القرآن - بيروت - لبنان ، الطبعة السابعة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ١٣/ ٥١٦

٥- عامر بن ربيعة بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة ، أحد السابقين الأولين ، هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة ، شهد بدرًا ومن بعدها مات سنة اثنين وثلاثين ، وقيل سبع وثلاثين ، كان موته بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بأيام . انظر الإصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين أبي الفضل أحمد علي بن محمد علي السقلاني ، طبعة دار الفكر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ٢/ ٢٤٩ .

٦- سورة الأنبياء

٧- الأنبياء: ١

٨- في ظلال القرآن ١٣/ ٥١٧

يقول القرطبي عن آية سورة الأنبياء: «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ» ابتداء وخبر وفيه وجهان: أحدهما: «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ» يعني بالدنيا عن الآخرة. والثاني: «عن التأهب للحساب وعما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم»^(١). وقال النسفي: «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» عن حسابهم وعما يفعل بهم، ثم (مُعْرِضُونَ) عن التأهب لذلك اليوم، فالإعتراب عام، والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين، فرب غافل عن حساب له لا يستغراقه في دنياه وإعراضه عن مولاه، ورب غافل عن حساب له لا يستهلكه في مولاه وإعراضه عن دنياه فهو لا يفيق إلا برؤية المولى، فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتتنبه للعرض قبل أن تنسب، وتعرض عن الغافلين، وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بقاء رب العالمين»^(٢).

وتناول الطبري الغفلة التي يصاب بها الناس بقوله: «لا يعتبرون ولا يتفكرون في وعده ووعيده، ولكن يستمعونه وهم يلعبون» «لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ»^(٣) أي غافلة»^(٤) إلا أن صاحب الأساس في التفسير يرى أنه وبرغم أن الآيات المتقدمة تتحدث عن الكافرين؛ إلا أن فيها فوائد لخصها في الآتي:-

كثير من أخلاق الكافرين يمكن أن يبتلى بها المؤمنون، ومن ثم فإن على المسلم أن يلاحظ نفسه متخلياً به وهو لا يشعر.

بمناسبة قوله تعالى: «لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ» أي القلب اللاهي: المشغول بزينة الحياة وزهرتها، الغافل عن الآخرة وأهوالها»^(٥).

لذلك فالمؤمن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده، وغايته التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى دار كرامته، فذلك يكون عمله خالصاً نافعاً، وبفواته يكون عمله باطلاً^(٦).

ومن كل ما تقدم يتبين أن القرآن مملوء من التزهيد في الدنيا والإخبار بخصتها وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة والأخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإثارة^(٧).

١- تفسير القرطبي ١٣١/٦.

٢- تفسير النسفي للإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، طبعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ٧١/٣.

٣- الأنبياء: ٣.

٤- تفسير الطبري ٥٦٦٨/٧.

٥- أنظر: الأساس في التفسير، سعيد حوي، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة السابعة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ٤٨ / ٥٠.

٦- أنظر: تفسير الكريم الرحمن ٣٨٦-٣٨٧.

٧- مدارج السالكين، ٨/٢.

وأبلغ ما رأيت في تصوير مشهد سورة الأنبياء، ما ذكره سيد قطب في مقدمة تفسيره للسورة :
«والسياق في سورة الأنبياء يبدأ بمطلع قوي الضربات، يهز القلوب هزاً، وهو يلفتها إلى الخطر
القريب المحقق، وهي عنه غافلة لاهية^(١) ومثل هذا التعبير يثير الخوف في النفوس، ونجد أن
صاحب مدارج السالكين أثنى على الخوف في النفوس وبين فوائده بقوله: الخوف يثمر الورع
والاستعانة وقصر الأمل، وقوة الإيمان بقاء الآخرة تثمر الزهد^(٢). فالإنسان يصحو كل صباح
على آمال عراض، وينسى أنه مهما سعى لتحصيلها فلن يدرك منها إلا ما كتب له.

وعلينا أن ندرك أن طول الأمل كان سبباً في هلاك كثير من الأمم قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل»^(٣).

ونخلص إلى أن طول الأمل هو سبب الغفلة عن الآخرة، حتى أننا نجد بعض المسلمين يطمعون في
تحصيل آمال عراض، دون ربطها بمشيئة الله، ودون أدنى تفكير في الموت. وقصر الأمل سببه
التفكر في المال، وهول السؤال، لذلك نجده يرتبط بالزهد ارتباطاً وثيقاً.

والعلاقة بين الحياتين الدنيا والآخرة علاقة وثيقة، لان المسؤولية الاجتماعية في الدنيا هي نتيجة
لازمة لعلاقة المسؤولية في الآخرة، وتتطابق معها، وهي الحلقة التي تربط بين مواقف الانسان
في الدنيا والآخرة وتجعلهما طورين متعاقبين من الابتلاء والجزاء^(٤)

لذا يجب العمل لكليهما، لتكون الدنيا مطية الآخرة، فاستحباب الحياة الدنيا علي الآخرة،
يستصطدم بتكاليف الايمان ويتعارض مع الاستقامة علي الصراط. وليس الامر كذلك حين
تستحب الآخرة، لانه عندئذ تصلح الدنيا، ويصبح المتاع بها معتدلاً، ويراعى فيه وجهه، فلا يقع
التعارض بين استحباب الآخرة ومتاع الدنيا^(٥).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطاً فقال: «هذا الأمل
وهذا اجله فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الأقرب»^(٦)

والخط الاقرب هو الاجل، لذا لا بد من العمل لاجل الآخرة.

١- في ظلال القرآن، طبعة دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٧٢، ٢٣٦٦/٤.

٢- مدارج السالكين، ٢٠/٢.

٣- رواه أحمد في الزهد والطبراني في الأوسط، صحيح الجامع ٣٨٤٥.

٤- موسوعة نضرة التعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - اعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن
عبد الله بن حميد امام وخطيب الحرم المكي، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع
- السعودية الطبعة السابعة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ٤/١

٥- في ظلال القرآن ٤ / ٢٠٨٦

٦- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الامل وطوله، ٧ / ١٧١

الخاتمة

وتشمل على أهم النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج :

تناول المبحث الأول : كيف أن كثيراً من الناس يحرص على الحياة الدنيا ، ويعيش لدنياه فقط ، وهذا ما عرف بطول الأمل ، وأثبت البحث أنه مذموم لأنه يرتبط بالغفلة عن الآخرة.

• كما بين أن صاحب الأمل الطويل يركن غالباً إلى الشهوات والملذات، ولا يتحرك قلبه لآيات الله، ولا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا جاء تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من طول الأمل.

• أوضح البحث أن طول الأمل داء عضال ومرض مزمن كما سماه أحد المفسرين.

• أكد البحث أن الأمل يكسل عن العمل ، ويورث التراخي والتواني، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة ، ويحث على المسابقة.

• ركز البحث على أهمية ذكر الله تعالى وبيان أنه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب الآخرة، وهو من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها.

• أوضح البحث اهتمام السلف الصالح بذكر الموت، وكيف أنه يزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة.

• وتناول المبحث الثاني: حقارة الدنيا، والزهد فيها. فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف منها على مفقود.

• أوجب البحث على العبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً.

• حذر البحث من الفتنتين؛ الدنيا والنساء.

• أكد البحث الخسران المبين لمن جعل الدنيا همه، وغفل عن الآخرة.

• أبرز البحث ذم القرآن الكريم لمن هم عن الآخرة هم غافلون.

• كما بين أهم أمراض الغفلة، وهو (داء العُجب).

ثانياً التوصيات:

(١) الاهتمام برسائل تذكر بحقارة الدنيا والعمل للآخرة كرسائل (كفى بالموت واعظاً) ونحو ذلك.

(٢) تغذية النفس البشرية بالقيم الروحية ، الذي يحد من انطلاقها وراء الأمل الذي يؤدي للهلاك في الدنيا والآخرة.